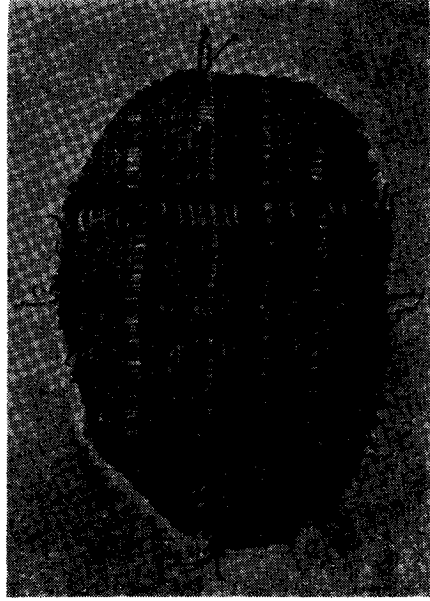




أحمد شرقاوي

ولد احمد شرقاوي سنة ١٩٣٤ فهو ، اذاً ، في حدود الثلاثين . ورغم حداثة سنه فقد فرض نفسه في المغرب ، رائداً لمدرسة الرسم المغربية ، وفي الخارج رساماً جعلت منه دربته ، رغم تأثير بعض الاعلام الاوربيين ، اكثر الفنانين اصالة في الحضارة العربية الاسلامية . واذا كان بادیء بدء قد شرع ، في لوحاته الاولى ، يحوب الواقع مهيمنا عليه ومؤديا وجوهه المختلفة بمهارة واقتصاد في الوسائل يذكراننا بالفنانين كلي او ماتيس ، فان الفن التجريدي او بالاحرى الفن اللاشكلي يفعل فعله في هذا الفنان الذي يبحث عن دربة ينتهجها . انه الهدف الذي تصبو روحه اليه .

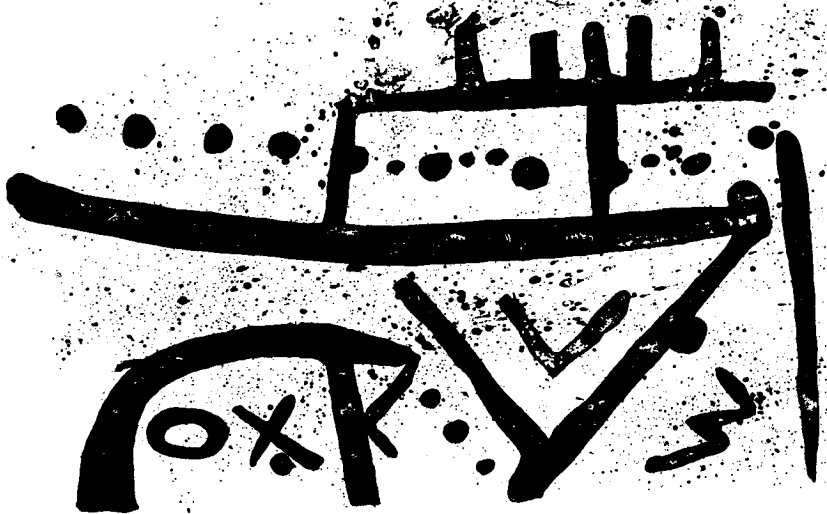
لقد فتح عينيه لدى مشاهدته نتاج بيسياري خلال زيارة لمتحف الفن العصري في باريس سنة ١٩٥٦ . عندها اجشش بالبكاء قائلاً : « انني صعقت فعلاً ، وكان يحيل اليّ انني سلبت ما هو لي » . وهكذا ارتسمت الطريق .

تسلح شرقاوي بالصبر والشجاعة بين احضان الآلة وجلبة الواقع اليومي ، فاحتفظ بنفس الطفل وراح يخط ، دونما عنف او مهارة ، سائر التعاريج التي تدرجت عليها نفسه نحو الفرح الاكبر والمكافأة الكبرى ، اعني الانصهار في النظام الالهي . لقد شرح القرآن على طريقته الشخصية (« التاج » ، « الفلق ») ، وشرح الحديث (« الهرب نحو المدينة ») ، وشرح الانجيل (« جبل الزيتون ») . ثم تقصى شعائر التقليد الشعبي المغربي ومدلولها . من هنا تطورت في نتاجه رمزية غنية متنوعة : رمزية القرآن الكريم والكتاب المقدس ، ورمزية دينية وصوفية ، ورمزية السحر ومضمون الوشم . ولكن دون اي بحث نظري . بل انما الدربة هي سعي جاهد طويل وراء المطلق في كلمته وظهوراته : « فاينا تولوا فثم وجه الله » .

وهكذا فان شرقاوي - رغم وقوفه على دقائق الصناعة وقواعد الرسم : ايقاعات متناغمة ، تناسب عدل بين الالوان ، تألف لوني اخاذ - ليس رسام الفن للفن . لقد قيل بصده انه لا شكلي . قد يكون ذلك شرط ان نفهم به ان شرقاوي هو رسام التأمل ، رسام مجهودات النفس على الجسد . ذلك بان فنه هو شاهد على حياته التي تتجمع كلها في العمق . انه انعكاس لها .

وليس هذا التأمل ثمرة امس القريب . انه نتيجة هذا الحنين الى الفردوس الاخضر ، فردوس الحداثة ، يوم كان شرقاوي ولدا يبحث عنه بعينه عبر النوافذ الصغيرة المشرعة على قاعة الاستقبال في المنزل العائلي حيث لا تزال محفوظة الى الآن تذكارات بو عبید الشرقي ، هذا الصوفي المسلم الكبير ، جد العائلة . اما كلام المسلم الوقور ، والد الفنان ، واما قراءة سيرة الرسول في حلقات العيلة ، واما الاستسلام الطويل الى التحليلات في هذا المنزل الذي يتناول ، من وراء سطوح مدينة ابي الجعد ، الى السهل الذي يمور بالخضرة في الربيع ويتراءى بلون القرميد في الصيف ويتراعى على مد النظر - فانها جميعا قد اناخت بلا نهايتها على نفس شرقاوي الحساسة .

وعليه ، فنتاج شرقاوي هو انعكاس حي صادق لحياته الباطنية . من هنا هذا الاسلوب الخاص الطريف الفذ الذي اثار اعجاب النقد العالمي .
كلا ، لا تعتمد النفس الى الكلام ، بل الى الحركات الدقيقة الحفية ، حركات الامواج السماوية .





رسم (١٩٦٢)

وهكذا فليس تنظيم المدى في سبيل اثاره التوهم ، بل في سبيل جعل العمق محسوسا .
وليس الحجم نتيجة المخروط او الهرمي ، بل نتيجة الاسطوانة والدائرة اللتين تتقاطعان
وتتعانقان وتتراكبان وتفرقان ثم تأخذ احدهما برقاب الاخرى فتعبران هكذا عن توازن
كامل بين الاسلوب والفكرة .

رغم القطع المتوسط عامة ، فان للفنان حس الكبر والفخامة مما يظهره الخط الغليظ
والحنية التي ترتد على نفسها في حركة هي دائما عود على بدء . وهذا البناء الذي يبدو كأنه
نتيجة احكام علمي انما هو ثمرة حركة عفوية . ذلك بان شرقاوي ، كالولد ، يلقي على
مفاتيح العالم الذي يحيط به نظرة جديدة ، وقورة ، مشغوفة ، ماثلة ، لم تشوها بعد ، او
بالاحرى لم تفسدها ، معرفة سلم القيم التي لا تنفك موضوعا لاعادة النظر فيها .
وعالم الكائنات والاشياء ، بالنسبة لشرقاوي ، هو موضوع الخطف دائم . فالاصغر
الاصغر والاكبر الاكبر لا يحدثان فيه دوارا ، بل انهما ، على العكس ، مبعث سلام الاعماق .



لوحة (١٩٦١)

كتب بيار كابان في « غاليري ديزار » بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ :
« لطالما تحدث الناس عن الفن المقدس ، وكانوا يعنون به فن الكنيسة . اما شرقاوي فقد
برهن على ان هذا التعبير بمقدوره ان ينطبق على هذه المحادثات القائمة على المستوى الروحي
بين الرسام ومثاله ، هذا المثال الذي يتقبل الرسالة ويمنحه صلاحيات جديدة . يتأصل
فن هذا الرسام المغربي الشاب في تبادل نفساني يمتد الى ابعد من تصاوير روو المتعملة الذي
يذكرنا به شرقاوي بعض الاحيان » .

و كتبت في دليل شرقاوي للمعرض الذي احياه لدى جان كاستيل ما يلي : « على غرار
كلي احتفظ شرقاوي حيال الطبيعة « بموهبة الطفولة المقتونة » . فهو يرسم كما يتنفس .
ولكان يأخذ منه العجب مأخذا لو طلب اليه القيام بشعائر صلاة غير تلك . انما
الرسم صلاته » .

فاطمي م. الفاطمي